مجلـــة كليـــة العلوم الاسلاميـــــــة
العدد(٦١) ٧ شعبان ١٤٤١هـ / ٣١ آذار ٢٠٢٠م

الفوائد المستخلصة من سورة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من بداية السورة إلى نهاية الآية ١٥/ الجزء الأول

ثائر عبد الوهاب البهيجي- ماجستير تفسير قرآن

The benefits extracted from Surah of Prophet Mohammed (peace upon him and on his family) from the beginning of Surah until the end of Ayah 15/ the 1st part

Thaer Abdel Whab Albaheege/
Master in Quran Interpretation

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

اهتم البحث في بيان الفوائد المرجوة من تدبر سورة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فكانت سبع فوائد ، الأولى منها: تعلقت ببيان الخيبة والخسران والضعف في أحوال الذين كفروا،

والثانية : في بيان أحوال المؤمنين من إيمانٍ وغفرانٍ وراحةِ بال ، والثالثة : في بيان الفارق الكبير بين الكافرين والمؤمنين ، وأن لكل فريق صفات تميزه عن الآخر، فأوضحت الفائدة أن الكافرين في ليلٍ عسير ، وأن المؤمنين في نهارٍ منير ، والرابعة : تعلقت بإرشاد المؤمنين إلى أخلاق رفيعة اثناء الحروب ، والخامسة : أوضحت ما للشهداء من المؤمنين من رُتبٍ عظيمة ،

وجوائز ثمينة ، وجناتٍ لا تخطر على بال ، وتخيلها من المحال ، والسادسة : أنارت للمؤمنين طريق الحياة وأرشدتهم إلى خير الدنيا والآخرة ، وذلك بنصرتهم لدينهم ، والصبر على مجاهدة أعدائهم ، والسابعة : وعدت المؤمنين بجناتٍ عظيمة، فيها أنهارٍ لذيذة ، والكافرين في نارٍ متأججة ، و مياهٍ ساخنة تقطع أحشائهم المتهالكة .

العدد
٦١

٧
شعبان
١٤٤١هـ

٣١ آذار
٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آل بيته الطاهرين ورضي الله تعالى عن صحابته أجمعين ، يرى العبد الفقير: أن من أفضل الكتابات النظر بكتاب الله تعالى وتدبر الآيات الكريمة وإستخراج الفوائد العظيمة وإستخلاصها والحث على العمل بها ، قال تعالى:(وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩))[١] ، وقال سبحانه:

(وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣))[٢] ، وقال تعالى:((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢))[٣]، و قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ ؟ قَالَ: هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ)[٤]، ورُوِيَ عَنِ عَبدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ :(مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيُثَوِّرِ[٥] الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ)[٦]

وَعنْ أَبي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ : إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ)[٧]، ((وحامِلِ القُرآنِ) أَي : وإكرامِ حافِظِهِ ، وسَماهُ حامِلاً لهُ لِما يَحمِلُ لِمشاقٍ كثيرةٍ ، تَزيدُ على الأَحمالِ الثقيلةِ ...(غيرِ الغَالِي فيهِ) ، والغُلُو : التَشديدُ ومُجاوزةُ الحَدْ ...(والجَافِي عَنهُ) أي: وغيرِ المتباعِدِ عَنهُ ، المُعرضِ عَنْ تِلاوتِهِ ، وإحكامِ قِراءتِهِ ، وإتقانِ معانيهِ ، والعملِ بِما فيهِ)[٨]، وسأذكر بعون الله تعالى بعض الفوائد من سورة نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وقد تتضمن الفائدة أقوالاً للمفسرين توضحها وتجليها للمتدبر قدر الطاقة البشرية .

الفوائد في اللغة :(فيد : الفائدة : ما أفاد الله تعالى العبد من خير يستفيده ويستحدثه ، وجمعها الفوائد)[٩] ،(الْفَائِدَةُ ما استَفَدْتَهُ مِنْ علمٍ أَو مالٍ، و فَادَتْ لهُ فَائِدَةٌ مِنْ بابِ باعَ وكَذَا فادَ لهُ مالٌ أَي ثَبَتَ، و أَفَدتُ المالَ أَعطيتهُ، و أَفَدتُهُ أَيضا استَفَدتُهُ)[١٠] .

الفوائد في الاصطلاح: (ومن جملة تلك المطالب التي أَلِفَ العلماء الكتابة فيها : تقييد ما يمر بهم من الفوائد، والشوارد، والبدائع، من نص عزيز أو نقل غريب أو إستدلال محرر...أو إشارة لطيفة ، يُقيدون تلك الفوائد في خزائن العلم ودواوين الاسلام ، بما تمليه خواطرهم وينقدح في الأذهان...فتسمى بالفوائد ،أو التذكرة أو الزنبيل أو الكناش أو المخلاة...أو الكشكول... ومن أحسن الكتب في هذا المضمار بدائع الفوائد للإمام ابن القيم[١١] وهو كتاب مشحون بالفوائد النادرة، والتحقيقات المحررة ، والنقول العزيزة ، والنكات الطريفة المعجبة ، في التفسير، والحديث، والأصلين ، والفقه ، وعلوم العربية)[١٢].

(المُستَخلَصَة) في اللغة: (خلَصَ: الْخَاءُ وَاللَّامُ والصَّادُ أَصلٌ واحدٌ وَهوَ تَنْقِيَةُ الشَّيءِ وتهذيبُهُ، يقولونَ: خَلَّصتُهُ منْ كَذَا)[١٣]،(والتَخْلِيصُ : التَنجيةُ من كلِ مَنْشب ، تقول : خلَصتهُ من كذا ، وتَخلصهُ تَخلصاً كما يَتَخلص الغزلُ إذا التبس، والإخلاصُ في الطاعةِ : تَركُ الرياءَ)[١٤].

ومعنى (المُستَخلَصَة) في الاصطلاح: يرى الباحث أنها: إستخلاص العبر والعظات، والتدبر في معاني الآيات الكريمة قدر المستطاع.

حول سورة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قال ابن عاشور[١٥]:(سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي كُتُبِ السُّنَّةِ سُورَةَ مُحَمَّدٍ ، وَكَذَلِكَ تُرْجِمَتْ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[١٦] مِنْ رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ ، وَكَذَلِكَ فِي التَّفَاسِيرِ، و قَالُوا: وَتُسَمَّى سُورَةَ الْقِتَالِ ، وَوَقَعَ فِي أَكْثَرِ رِوَايَاتِ «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» سُورَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَالْأَشْهُرُ الْأَوَّلُ، وَوَجْهُهُ أَنَّهَا ذُكِرَ فِيهَا اسْم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ مِنْهَا فَعُرِفَتْ بِهِ قَبْلَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ[١٧] الَّتِي فِيهَا:(وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ)[١٨] ،...وَهِيَ مَدنية بِالإِتْفَاق)[١٩].

يَرى العبدُ الفقير : أَنَّ من الممكن تقسيم السورة إلى ست مجموعات ، الأولى: تبدأ من بداية السورة إلى الآية السادسة ، وتتحدث عن صفات الكافرين والمؤمنين و القتال بينهما ، والمجموعة الثانية: من الآية السابعة إلى الآية الخامسة عشر وتدعو المؤمنين إلى نصرة الله تعالى وتعلن مآلهم ومآل الكافرين وتوصل الفريقين إما إلى جنة و إما إلى نار ، والمجموعة الثالثة: من الآية السادسة عشر إلى الآية التاسعة عشر وتخبر رسول

الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأحوال المنافقين والمؤمنين وتدعوه إلى تجديد العلم بالتوحيد وبالإستغفار لنفسه ولصحابته ، والمجموعة الرابعة: من الآية العشرين إلى الآية الرابعة والعشرين وتحدثت عن مقولة لبعض المؤمنين عن رغبتهم في نزول سورة من القرآن تأمر بالقتال ، وصورت لحال أهل النفاق عند سماعهم لإمر القتال ، فذكرتهم ووعظتهم ، ثم دعتهم إلى تدبر آيات القرآن الكريم ، وأعلمتهم أن أقفال قلوبهم وهي معاصيهم تمنعهم من التفكر بآيات القرآن ، ثم تعرض السورة للمجموعة الخامسة وهي: من الآية الخامسة والعشرين إلى الآية الثلاثين ، وهي توضح لحال

بعض المرتدين عن الإسلام ، وإستماعهم لإقوال المنافقين ومتابعتهم ، ثم عقوبتهم وهم يُضربون من الملائكة عند وفاتهم ، وأن الله تعالى قدير على أن يكشف أسرارهم لكي يعرفهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بصفاتهم وأقوالهم ، والمجموعة السادسة: من الآية إحدى وثلاثين إلى نهاية السورة وهي خطاب إلى الصحابة الكرام : أنَّ الله تعالى سيختبرهم بمشاق الجهاد والصبر ، ويُذكرهم أنه سبحانه سَيُبطل أعمال الكافرين الصادين عن سبيله و المشَّاقين لرسوله عليه الصلاة والسلام ، ثم يأَمرهم بالطاعة ، و أنهم أعلى ممن يخالفهم ، ثم يُذكرهم أن الدنيا دار لهو وغرور وإن الإيمان والتقوى هو الزاد النافع في الدارين، وأن البخل صفة ذميمة وأنه سبحانه هو الغني وهم الفقراء ، وأنهم إن تَولَوا وعَصَوا فسَيستبدلَهم بغيرهم ، ولا يكونوا على شاكلتهم ، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم .

المجموعة الأولى :

العدد ٦١

٧ شعبان ١٤٤١هـ

٣١ آذار ٢٠٢٠م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) فَإِذا لَقِيتُمْ

الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦))[٢٠].

(الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١))

أنَّ اللهَ تعالى ذكرَ الكافرين بثلاث صفات: الأولى: الكفر ، والثانية: الصد عن سبيل الله تعالى ، والثالثة : أنَّ أعمالَهم قد ضلَّتْ وخابتْ، والصفة المميزة هي أنَّهم يَصدون الناس عن الإسلام وتعني :(صَدَد : الصد : الإعراض و الصدوف ، صد عنه يصد: أعرض... ويُقال : صَدَهُ عن الأمر يَصدهُ صداً منعه وصرفه عنه ، قال الله عز وجل :(وَصَدَّهَا ما كَانَتْ تَعبُدُ منْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ)[٢١] ؛ يُقالُ عن الإيمانِ العادةِ التي كانت عليها السيدة بلقيس عليها السلام ؛ لإنها نَشأتْ ولم تعرفْ إلا قوماً يعبدون الشمس فصدتها العادة ، وعادتها موضحة بقوله تعالى:(إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ) ، المعنى: صَدَّها لكونها من قوم كافرين ، وفي الحديث :(كُنَّا نَتَطَيَّرُ، قَالَ: ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ)[٢٢]، وصَدهُ عنهُ وأصَدهُ: صَرفهُ)[٢٣].

ومن الأمور التي تحمل معنى الصدود عن الاسلام أنَّ الله تعالى قد أخبرنا عن إتهامِ الكفارِ للنبي صلى الله عليه و آله وسلم فقال: ﴿ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾[٢٤] وقابلوا دعوته بالاستهزاء ورمَوه بالجنون: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾[٢٥] ، وقال سبحانه (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (٦) وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ

نَذِيراً (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً (٨))[٢٦] ، وكل هذه الصفات التي ذكروها كذباً وزوراً لكي يَصدوا الناسَ عن دعوته ويَصرفوهم عن إتباعهِ لم تنفعهم بشيء ، وهم أنفسهم يَعلمون أنهُ ليس مثلُ ما يدعون ، وهم الذين وصفوهُ بالصادقِ الأمين[٢٧]، وإنَّ البعضَ منهم كانوا يأتمنونهُ على أموالهم[٢٨].

وسأذكر قصة إسلام أبي ذر وضماد للتدليل على خيبة الكفار وفشلهم في التصدي للدعوة الاسلامية .

قصةُ إسلامِ أَبِي ذر

ولننظر في قصةِ أَبي ذر رضي الله عنه:(عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَما بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي، فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَكَلاَماً مَا هُوَ

بِالشِّعْرِ، فَقَالَ: ما شَفَيْتَنِي ممَّا أَرَدْتُ، فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً[٤] لَهُ فِيهَا مَاءٌ، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَأَتَى المَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ، فَاضْطَجَعَ فَرَآهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ، فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى المَسْجِدِ، وَظَلَّ ذَلِكَ اليَوْمَ وَلاَ يَرَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَمْسَى، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟ فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ، لاَ يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ، فَعَادَ عَلِيٌّ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، فَأَقَامَ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ: أَلاَ تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ؟ قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِّي فَعَلْتُ، فَفَعَلَ فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ المَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتْبَعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي فَفَعَلَ، فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وَدَخَلَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي» قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيهِمْ ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى المَسْجِدَ، فَنَادَى

بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، ثُمَّ قَامَ القَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، وَأَتَى العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، قَالَ: وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّهم في طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى الشَامِ، فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الغَدِ لِمِثْلِهَا، فَضَرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ، فَأَكَبَّ العَبَّاسُ عَلَيْهِ)[٢٩]

قصة إسلام ضماد

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما:(أَنَّ ضِمَادًا، قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا

شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ» قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ قاموسَ الْبَحْرِ[٣٠]، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ

أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَعَلَى قَوْمِكَ»، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي)[٣١] .

الفائدة الأولى : يرى العبد الفقير: أنَّ اللهَ تعالى قد قَدَّرَ الضلالةَ والعذابَ وإحباطَ العملِ على الصدودِ عن سبيلهِ ، وأنَّ أعمالَ الكفار لم تنفعْهم ، و خابُوا وخسِروا فلم يصدقْهم الناس وأسلمَ الكثيرُ ممن سَمعوا مقالاتِهم الكاذبة ، كأنما يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وللصحابة وهم في المدينة : مثلما أحبطتُ أعمالَ الكفارِ في مكة المكرمة ، ونصرتكم بالهجرةِ إلى المدينة سأنصركم الآن أيضاً ، وسأُحبط مؤامرات أعدائكم .

إنَّ المؤمنين في المدينة كانوا بحاجة لمثل هذا التأكيد ، لكي تطمئنَ قلوبُهم لنصر الله سبحانه لهم ، ولا تُخيفهم أعمال الكفار مهما كانت ، ولا يُصدقون أقاويل المنافقين في المدينة ، فإنها تشبهُ أقاويل الكفار في الكذب والصدود عن سبيل الله تعالى .

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢))

فلما إنتهى سبحانه من ذكر الكفار إنتقل لذكر المؤمنين وهنا مسألة وهي إنه وصفهم بالإيمان ثم قال سبحانه أنهم آمنوا بما نُزِّل على محمد وهو متضمن بالإيمان الأول فما هي الحكمة ؟ قال الآلوسي[٣٢] : (وَآمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلى مُحَمَّدٍ من القرآن، وخص بالذكر الإيمان بذلك مع إندراجه فيما قبله تنويهاً بشأنهِ وتنبيهاً على سمو مكانهِ من بين سائر ما يجب الإيمان به، وأنهَ الأصلُ في الكلِ ولذلكَ أكَّدَ بقولهِ تعالى:(وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ) وهو جملةٌ معترضةٌ بينَ المبتدأ والخبر، مفيدةٌ لحصرِ الحَقّية فيه على طريقةِ الحصر في قولهِ تعالى :(ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ)[٣٣]... و حقَّية ما نزلَ عليه عليه الصلاة والسلام لكونهِ ناسخاً لا يُنسخ وهذا يقتضي الإعتناء به ومنه جاء التأكيد)[٣٤] .

وقال الفخر الرازي[٣٥]: (قوله { وآمنوا بما نُزِّلَ على محمد } مع أن قوله آمنوا وعملوا الصالحات أفاد هذا المعنى فما الحكمة فيه وكيف وجهه ؟... هو في مقابلة قوله في حق الكافر { وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } لأنَّا بَينا في وجهٍ أنَّ المرادَ بهم صَدُوا عن إتباعِ محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا حثٌّ على إتباعِ محمد صلى الله عليه وسلم ، فهم صدوا أنفسهم عن سبيلِ الله ، وهو محمد عليه السلام وما أُنزل عليه ، وهؤلاء حَثوا أنفسهم على إتباعِ سبيلهِ ، لا جرمَ حَصلَ لهؤلاءِ ضِدُ ما حصلَ لإولئك ، فأضلَ اللهُ حَسناتِ أولئك وسترَ على سيئاتِ هؤلاء)[٣٦]، قالَ البيضاوي[٣٧] :((وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ) صلى الله عليه وعلى آله وسلم تخصيصٌ للمُنَزَّل عليهِ مما يجبُ الإيمانَ بهِ، تعظيماً لهُ وإشعاراً بأنَّ الإيمانَ لا يتم دونه ، وأنهُ الأصلُ فيه ولذلكَ أكَّدهُ بقوله:(وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ) إعتراضاً على طريقة الحصر، وقيل: حقيقته بكونه ناسخاً لا يُنسخ)[٣٨]

(كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) ما المقصود ببالِهم ؟ (البَال: الحال التي يُكترثُ بها، ولذلك يقال: ما باليت بكذا بال ، أي: ما اكترثت به ، قال تعالى:(كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بالَهُمْ) ، وقال سبحانه:(فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى)[٣٩]، أي: فما حالهم وخبرهم)[٤٠].

قال الزمخشري[٤١]:((كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) : سَتَرَ بإيمانِهم وعملِهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم وأصلح بالهم أي حالهم وشأنَهم بالتوفيق في أمور الدين، وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد)[٤٢] .

الفائدة الثانية : إنَّ الأمرَ بحاجةٍ إلى أنْ ينتصرَ اللهُ تعالى لنبيهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أُولئك الذين صَدوا عن سبيله وسبيل نبيه ويَصفُ أتباعَهُ بأنَّهم آمنوا به وبنبيهِ مثلما كَفَّرَ أُولئكَ ، وإنَّ هناك فارقٌ بينهم فالمؤمنين آمنوا بالحق من ربهم والكفار على حالهم من الباطل والزيغ فلا تساوي بينهما ، و أَنه سبحانه قدْ أنّعم على عباده بثلاث الأولى: هداهم إلى الإيمان وسماهم به ، والثانية: غفرَ لهم ذنوبهم وتجاوز عن تقصيرهم وعفى عنهم ، والثالثة : زادهم صلاحاً وعافية وزادهم من فضله وعطفه ، فشتان بينهم وبين الكفار فهل يستوي الثرى بالثريا !

قال الطاهر بن عاشور[٤٣]:((وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) : وَإِصْلَاحُ الْبَالِ يَجْمَعُ إِصْلَاحَ الْأُمُورِ كُلِّهَا لِأَنَّ تَصَرُّفَاتِ الْإِنْسَانِ تَأْتِي عَلَى حَسَبِ رَأْيِهِ ، فَالتَّوْحِيدُ أَصْلُ صَلَاحِ بَالِ الْمُؤْمِنِ، وَمِنْهُ تَنْبَعِثُ الْقُوَى الْمُقَاوِمَةُ لِلْأَخْطَاءِ وَالْأَوْهَامِ الَّتِي تَلَبَّسَ بِهَا أَهْلُ الشِّرْكِ، وَحَكَاهَا عَنْهُمُ الْقُرْآنُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ وَالْمَعْنَى: أَقَامَ أَنْظَارَهُمْ وَعُقُولَهُمْ فَلَا يُفَكِّرُونَ إِلَّا صَالِحاً وَلَا يَتَدَبَّرُونَ إِلَّا نَاجِحاً)[٤٤] .

(ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ)

قال الامام الطبري[٤٥]: (هذا الذي فعلنا بهذين الفريقين من إضلالنا أعمال الكافرين، وتكفيرنا عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، جزاءً منا لكلّ فريق منهم على فعله، أما الكافرون فأضللنا أعمالهم

وجعلناها على غير استقامة وهدى، بأنهم اتبعوا الشيطان فأطاعوه ، وهو الباطل... وأما المؤمنون فكفّرنا عنهم سيئاتهم، وأصلحنا لهم حالهم بأنهم اتبعوا الحقّ الذي جاءهم من ربهم، وهو محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وما جاءهم به من عند ربه من النور والبرهان)[٤٦].

وقال الامام القرطبي[٤٧] : ((ذَلِكَ) فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، أَيِ الْأَمْرُ ذَلِكَ، أَوْ ذَلِكَ الْإِضْلَالُ وَالْهُدَى الْمُتَقَدِّمُ ذِكْرُهُمَا سَبَبُهُ هَذَا، فَالْكَافِرُ اتَّبَعَ الْبَاطِلَ، وَالْمُؤْمِنُ اتَّبَعَ الْحَقَّ، وَالْبَاطِلُ:

الشِّرْكُ، وَالْحَقُّ: التَّوْحِيدُ وَالْإِيمَانُ، (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) أَيْ كَهَذَا الْبَيَانِ الَّذِي بُيِّنَ ، يُبَيِّنُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْرَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَالضَّمِيرُ فِي(أَمْثَالَهُمْ) يَرْجِعُ إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا)[٤٨].

قال الطاهر بن عاشور:(وَالْمَعْنَى: قَدْ بَيَّنَّا لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنَ الْكَافِرِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ حَالَهُ تَفْصِيلًا وَإِجْمَالًا، وَمَا تُفْضِي إِلَيْهِ مِنَ اسْتِحْقَاقِ الْمُعَامَلَةِ بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ خَفَاءٌ فِي كُنْهِ[٤٩] الْحَالَيْنِ، وَمِثْلَ ذَلِكَ الْبَيَانِ يُمَثِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ أَحْوَالَهم كَيْلَا تَلْتَبِسَ عَلَيْهِمُ الْأَسْبَابُ وَالْمُسَبِّبَاتُ.

وَمَعْنَى(يَضْرِبُ): يُلْقِي وَهَذَا إِلْقَاءُ تَبْيِينٍ بِقَرِينَةِ السِّيَاقِ[٥٠]، ... وَالْأَمْثَالُ: جَمْعُ مَثَلٍ بِالتَّحْرِيكِ وَهُوَ الْحَالُ الَّتِي تُمَثِّلُ صَاحِبَهَا، أَيْ تَشْهَرُهُ لِلنَّاسِ وَتُعَرِّفُهُمْ بِهِ فَلَا يُلْتَبَسُ بِنَظَائِرِهِ، وَاللَّامُ لِلْأَجَلِ، وَالْمُرَادُ بِالنَّاسِ جَمِيعُ النَّاسِ ، وَضَمِيرُ أَمْثَالَهُمْ لِلنَّاسِ.

وَالْمَعْنَى: كَهَذَا التَّبْيِينِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَحْوَالَهُمْ فَلَا يَبْقَوْا فِي غَفْلَةٍ عَن شؤون أَنْفُسِهِمْ مَحْجُوبِينَ عَنْ تَحَقُّقِ كُنْهِهِمْ بِحِجَابِ التَّعَوُّدِ لِئَلَّا يَخْتَلِطَ الْخَبِيثُ بِالطَّيِّبِ، وَلِكَيْ يَكُونُوا عَلَى بَصِيرَةٍ فِي شُؤُونِهِم، وَفِي هَذَا إِيمَاءٌ[٥١] إِلَى وُجُوبِ التَّوَسُّمِ[٥٢] لِتَمْيِيزِ الْمُنَافِقِينَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ حَقًّا، فَإِنَّ مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ التَّحْذِيرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ)[٥٣] .

الفائدة الثالثة

في هذهِ الآيةِ الكريمةِ يُوضحُ لنا ربُنا تبارك وتعالى السببَ الأساسِ في التفريقِ بينَ أَصحابِ الكفرِ والضلالِ وأَصحابِ الإيمانِ والهدى ، فلا تطابق بينَ الطرفينِ ولا تشابه بينهما في الدنيا والآخرةِ ، فهؤلاءِ أَولياءِ الشيطانِ باعُوا أَنفسَهم إلى عدوهم ، وَرضُوا أَن يَتولى من أَقسمَ باللهِ تعالى على إضلالِهم أَن يقودَهم ، فأَوردهم منازلَ الخزي والعارِ في الدنيا ، وعذابَهم في الآخرةِ أَشدُ وأبقى ، أَما الذين اتبعوا داعيَ الخيرِ والهُدى صلى اللهُ عَليهِ وعلى آلهِ وسَلم فإنهم فازُوا بما أَثلجَ صُدورَهم في الدنيا ، وسَيرون في الآخرةِ من الخيراتِ ، ما لاعَينٌ رأتْ ، ولا أُذنٌ سمعتْ و لا خطرَ على بالِ بَشر، إنَّ التفريقَ بينَ الكفارِ والمؤمنين كثيرٌ ما يتكررُ في القرآنِ ، وإنهُ جاءَ هنا بالتعليلِ أَن سببَ كفرِ هؤلاءِ هو إتباعَهم للباطلِ ، وسببِ إيمان هؤلاءِ هو إتباعَهم للحقِ المبين ، وهو من أَساليبِ الدعوةِ أَن يا كفارُ: إن رَغبتم بالتغييرِ فلا تتبعُوا الباطلَ وأَهلَه ، واتبعُوا الحقَ وأَهله ، وأَن

يا أَهل الإيمان: الطريق ما أَنتم عليه فاثبتُوا واصبروا ، وأَنتم على سبيلِ الخيرِ، وأَعدائَكم على سبيلِ الشر .

ومن الأَحاديثِ النبوية التي اعتنت بضربِ الأَمثال حديث أَبِي مُوسَى الأَشعَرِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى، وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)[٥٤] ، قال النووي[٥٥] عن الحديث :(أَمَّا مَعَانِي الْحَدِيثِ وَمَقْصُودُهُ فَهُوَ تَمْثِيلُ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْغَيْثِ وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْأَرْضَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ وَكَذَلِكَ النَّاسُ فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأَرْضِ يَنْتَفِعُ بِالْمَطَرِ فَيَحْيَى بَعْدَ أَنْ كَانَ مَيْتاً وَيُنْبِتُ الْكَلَأَ فَتَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ وَالدَّوَابُّ وَالزَّرْعُ وَغَيْرُهَا وَكَذَا النَّوْعُ الْأَوَّلُ مِنَ النَّاسِ يَبْلُغُهُ الهدى وَالْعِلْمُ فَيَحْفَظُهُ فَيَحْيَا قَلْبُهُ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيُعَلِّمُهُ غَيْرَهُ فَيَنْتَفِعُ وَيَنْفَعُ وَالنَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الْأَرْضِ مالا تَقْبَلُ الِانْتِفَاعَ فِي نَفْسِهَا لَكِنْ فِيهَا فَائِدَةٌ وَهِيَ إِمْسَاكُ الْمَاءِ لِغَيْرِهَا فَيَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ وَالدَّوَابُّ وَكَذَا النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ النَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ حَافِظَةٌ لَكِنْ لَيْسَتْ لَهُمْ أَفْهَامٌ ثَاقِبَةٌ وَلَا رُسُوخَ لَهُمْ فِي الْعَقْلِ يَسْتَنْبِطُونَ بِهِ الْمَعَانِيَ وَالْأَحْكَامَ وَلَيْسَ عِنْدَهُمُ اجْتِهَادٌ فِي الطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ بِهِ فَهُمْ يَحْفَظُونَهُ حَتَّى يَأْتِيَ طَالِبٌ مُحْتَاجٌ مُتَعَطِّشٌ لِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ أَهْلٌ لِلنَّفْعِ وَالِانْتِفَاعِ فَيَأْخُذَهُ مِنْهُمْ فَيَنْتَفِعَ بِهِ فَهَؤُلَاءِ نَفَعُوا بِمَا بَلَغَهُمْ وَالنَّوْعُ الثَّالِثُ مِنَ الْأَرْضِ السِّبَاخُ الَّتِي لَا تُنْبِتُ وَنَحْوُهَا فَهِيَ لَا تَنْتَفِعُ بِالْمَاءِ وَلَا تُمْسِكُهُ لِيَنْتَفِعَ بِهَا غَيْرُهَا وَكَذَا النَّوْعُ الثَّالِثُ مِنَ النَّاسِ لَيْسَتْ لَهُمْ قُلُوبٌ حَافِظَةٌ وَلَا أَفْهَامٌ وَاعِيَةٌ فَإِذَا سَمِعُوا الْعِلْمَ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ وَلَا يَحْفَظُونَهُ لِنَفْعِ غَيْرِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[٥٦] .

(فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ(٤))

قال ابن كثير[٥٧] : (يَقُولُ تَعَالَى مُرْشِدًا لِلْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا يَعْتَمِدُونَهُ فِي حُرُوبِهِمْ مَعَ الْمُشْرِكِينَ : (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ) أَيْ : إِذَا وَاجَهْتُمُوهُمْ فَاحْصُدُوهُمْ

حَصْدًا بِالسُّيُوفِ ، (حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا) أَيْ : أَهْلَكْتُمُوهُمْ قَتْلًا (فَشُدُّوا) وَثَاقَ الْأُسَارَى الَّذِينَ تَأْسِرُونَهُمْ ، ثُمَّ أَنْتُمْ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَرْبِ وَانْفِصَالِ الْمَعْرَكَةِ مُخَيَّرُونَ فِي أَمْرِهِمْ ، إِنْ شِئْتُمْ مَنَنْتُمْ عَلَيْهِمْ فَأَطْلَقْتُمْ أُسَارَاهُمْ مَجَّانًا ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَادَيْتُمُوهُمْ بِمَالٍ تَأْخُذُونَهُ مِنْهُمْ وَتُشَاطِرُونَهُمْ عَلَيْهِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ ، سُبْحَانَهُ، عَاتَبَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الِاسْتِكْثَارِ مِنَ الْأُسَارَى يَوْمَئِذٍ لِيَأْخُذُوا مِنْهُمُ الْفِدَاءَ ، وَالتَّقَلُّلِ مِنَ الْقَتْلِ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ : (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[٥٨] ، ثُمَّ قَدِ ادَّعَى بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ – الْمُخَيِّرَةَ بَيْنَ مُفَادَاةِ الْأَسِيرِ وَالْمَنِّ عَلَيْهِ – مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ)[٥٩]، رَوَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَقَالَ الْآخَرُونَ – وَهُمُ الْأَكْثَرُونَ – : لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ)[٦٠] .

وعن قوله تعالى :(وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ) قال الطبري: (هذا الذي أَمرتكم به أيها المؤمنون من قتل المشركين إذا لقيتموهم في حرب، وشدّهم وثاقاً بعد قهرهم، وأَسرهم، والمنّ والفداء(حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) هو الحق الذي ألزمكم ربكم ولو يشاء ربكم، ويريد لانتصرَ من هؤلاءِ المشركين الذين بين هذا الحكم فيهم بعقوبة منه لهم عاجلة، وكفاكم ذلك كله، ولكنه تعالى ذكره كره الانتصار منهم، وعقوبتهم عاجلاً إلا بأيديكم أَيها المؤمنون(لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ) يقول: ليختبركم بهم، فيعلمَ المجاهدين منكم والصابرين، ويبلوهم بكم، فيعاقب بأَيديكم من شاءَ منهم، ويتعظُ من شاءَ منهم)[٦١] .

الفائدة الرابعة : إِنَّ أَول ما يتبادر إلى الذهن هو تدخل العناية الآلهية في تفاصيل ما كان الناس يُعيرون لها أهمية في وقت نزول القرآن ، فالقليل من الأقوام من يداري موضوع أخلاق الحروب ويَهتمُ به ويُوصي محاربيه بالتقيد بذلك الخلق وتلك المزية ، بينما نزل القرآن ليُذكر المؤمنين أن أخلاقكم مع أعدائكم في الحرب ضرورية للتقليل من أضرار الحروب وأهوالها ،

قال ابن عاشور:(وَالْمَنُّ : الْإِنْعَامُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ : إِطْلَاقُ الْأَسِيرِ وَاسْتِرْقَاقُهُ فَإِنَّ الِاسْتِرْقَاقَ مَنٌّ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يُقْتَلْ ، وَالْفِدَاءُ : بِكَسْرِ الْفَاءِ مَمْدُودًا تَخْلِيصُ الْأَسِيرِ مِنَ الْأَسْرِ بِعِوَضٍ

العدد ٦١

٧ شعبان ١٤٤١هـ

٣١ آذار ٢٠٢٠م

مِنْ مَالٍ أَوْ مُبَادَلَةٍ بِأَسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي يَدِ الْعَدُوِّ ، وَقَدَّمَ الْمَنَّ عَلَى الْفِدَاءِ تَرْجِيحًا لَهُ ؛ لِأَنَّهُ أَعْوَنُ عَلَى امْتِلَاكِ ضَمِيرِ الْمَمْنُونِ عَلَيْهِ لِيُسْتَعْمَلَ بِذَلِكَ بَعْضُهُ ،... ، وَالتَّقْدِيرُ : إِمَّا تَمُنُّونَ وَإِمَّا تَفْدُونَ)[٦٢] .

(وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦))

قال الآلوسي :(سَيَهْدِيهِمْ سَيُوصِلُهُمْ إِلَى ثَوَابِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَهَذَا كَالْبَيَانِ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ أَوْ سَيُثْبِتُ جَلَّ شَأْنُهُ فِي الدُّنْيَا هِدَايَتَهُمْ، وَالْمُرَادُ الْوَعْدُ بِأَنْ يَحْفَظَهُمْ سُبْحَانَهُ وَيَصُونَهُمْ عَمَّا يُورِثُ الضَّلَالَ وَحَبْطَ الْأَعْمَالِ، وَهُوَ كَالتَّعْلِيلِ لِذَلِكَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَالْبَيَانِ لَهُ أَيْضًا، وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ أَيْ شَأْنَهُمْ، ... وَحَيْثُ قَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ مِنْهَا لَا يُخْطِئُونَ كَأَنَّهُمْ سَاكِنُوهَا مُنْذُ خُلِقُوا لَا يَسْتَدِلُّونَ عَلَيْهَا أَحَدًا، وَفِي الْحَدِيثِ (لَأَحَدُكُمْ بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ أَعْرَفُ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ فِي الدُّنْيَا)[٦٣] وَذَلِكَ بِإِلْهَامٍ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مُقَاتِلٍ أَنَّهُ قَالَ:(بَلَغَنَا أَنَّ الْمَلَكَ الَّذِي كَانَ وُكِّلَ بِحِفْظِ عَمَلِ الشَّخْصِ فِي الدُّنْيَا يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْجَنَّةِ وَيَتْبَعُهُ الشَّخْصُ حَتَّى يَأْتِيَ أَقْصَى مَنْزِلٍ هُوَ لَهُ فَيُعَرِّفُهُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا انْتَهَى إِلَى أَقْصَى مَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ دَخَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَانْصَرَفَ الْمَلَكُ عَنْهُ)[٦٤])[٦٥].

الفائدة الخامسة : إن التأمل في الحديث النبوي الذي ذكره الآلوسي ضروري لاستخلاص الفائدة المرجوة من الآيتين الكريمتين ، ولننظر في الحديث كاملاً في صحيح البخاري:

(بسم الله الرحمن الرحيم كتاب المظالم باب قصاص المظالم والغصب وقول الله تعالى :(وَلَا تَحسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُم لِيَومٍ تَشخَصُ فِيهِ ٱلأَبصَٰرُ (٤٢) مُهطِعِينَ مُقنِعِي رُءُوسِهِم)[٦٦] مهطعين مقنعي رءوسهم: رافعي المقنع والمقمح واحد[٦٧]، وقال مجاهد: مهطعين مديمي النظر، ويقال مسرعين ،(لَا يَرتَدُّ إِلَيهِم طَرفُهُم وَأَفـِٔدَتُهُم هَوَآء ٤٣)[٦٨]، لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء: يعني جوفاً لا عقول لهم ،(وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَومَ يَأ ۡتِيهِمُ ٱلعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِب دَعوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَم تَكُونُوٓاْ أَقسَمتُم مِّن قَبلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ (٤٤) وَسَكَنتُم فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُم وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيفَ فَعَلنَا بِهِم وَضَرَبنَا لَكُمُ ٱلأَمثَالَ (٤٥) وَقَد ۡمَكَرُواْ مَك ۡرَهُم ۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَك ۡرُهُم ۡ وَإِن كَانَ مَك ۡرُهُم ۡ لِتَزُولَ مِن ۡهُ ٱل ۡجِبَالُ ٤٦ فَلَا تَح ۡسَبَنَّ ٱللَّهَ

مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ (٤٧))[٦٩] إن الحديث يؤكد أن الله سبحانه سيعوض عباده الشهداء بأمر عظيم وهو سيصلون لبيوتهم في الجنة من غير عناء ولا مشقة وسيجدون فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: قال الله تعالى: ((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وفي بعض رواياته: ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل)[٧٠] .

والحديث جاء لبيان ما أعد الله تعالى لعباده المؤمنين من النعيم المقيم الأبدي في دار كرامته، وأنه لم تر عين قط مثله، ولم تسمع أذن بوصفه، ولم يخطر على القلب تصوره، وأنه لا يعلم عظمته إلا الله تعالى.

ويفسر ذلك قول أبي هريرة في بعض رواياته: واقرؤوا إن شئتم:(فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧))[٧١].

قال ابن حجر العسقلاني[٧٢]: زَادَ اِبْن مَسْعُود فِي حَدِيثه: وَلَا يَعْلَمهُ مَلَك مُقَرَّب وَلَا نَبِيّ مُرْسَل... ووقع في حديث آخر أن سبب هذا الحديث أن موسى عليه السلام سأل ربه: من أعظم أهل الجنة منزلة فقال: غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر... ومصداق ذلك في كتاب الله: فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين..

الجنة كل وقت.. وقيل: المراد هنا التجليات الإلهية التي يتفضل بها الحق في الآخرة على خواصه)[٧٣] وقال القرطبي : (قلت: وهذه الكرامة إنما هي لأعلى أهل الجنة منزلاً؛ كما جاء مبيَّناً في صحيح مسلم عن المغيرة بن شُعبة يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سأل موسى -عليه السلام- ربّه فقال: يا ربِّ ما أدنى أهل الجنة منزلةً قال: هو رجل يأتي بعدما يدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أيْ ربّ كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أَخَذَاتهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثلُ مُلْك مَلِك من ملوك الدنيا فيقول رضيتُ ربِّ فيقول لك ذلك ومثله ومثله معه ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رَبّ، فيقال هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذّت عينك فيقول رضيتُ رَبّ، قال رَبِّ فأعلاهم منزلةً قال أولئك الذين أردتُ غَرَسْتُ كرامتهم بيدي

العدد ٦١

٧ شعبان ١٤٤١هـ

٣١ آذار ٢٠٢٠م

وخَتمتُ عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يَخْطر على قلب بشر، قال: ومصْداقُه من كتاب الله قوله تعالى : { فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }(٧٤))(٧٥).

وقال ابن عاشور:(فإن مدركات العقول منتهية إلى ما تدركه الأبصار من المرئيات من الجمال والزينة، وما تدركه الأسماع من محاسن الأقوال ومحامدها ومحاسن النغمات، وإلى ما تبلغ إليه المتخيلات من هيئات يركِّبها الخيال من مجموع ما يعهده من المرئيات والمسمُوعات مثل الأنهار من عسل أو خمر أو لبن، ومثل القصور والقباب من اللؤلؤ ، ومثل الأشجار من زبرجد ، والأزهار من ياقوت ، وتراب من مسك وعنبر ، فكل ذلك قليل في جانب ما أعدّ لهم في الجنة من هذه الموصوفات ولا تبلغه صفات الواصفين لأن منتهى الصفة محصور فيما تنتهي إليه دلالات اللغات مما يخطر على قلوب البشر، فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « ولا خطر على قلب بشر » وهذا كقولهم في تعظيم شيء: هذا لا يعلمه إلا الله)(٧٦).

المجموعة الثانية

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمالَهُمْ (٨) ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ (٩) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكافِرِينَ أَمْثالُها (١٠) ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكافِرِينَ لا مَوْلى لَهُمْ (١١))

قال ابن كثير : (ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) ، كَقَوْلِهِ : (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ)(٧٧) ، فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ : (وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) ...ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ) ، عَكْسُ تَثْبِيتِ الْأَقْدَامِ لِلْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِينَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قَالَ :(" تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ ، تَعِسَ عَبْدُ الْقَطِيفَةِ ، وَفِي رِوَايَةٍ : تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ ")(٧٨) ، أَيْ : فَلَا شَفَاهُ اللَّهُ ،

وَقَوْلُهُ : (وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) أَيْ : أَحْبَطَهَا وَأَبْطَلَهَا ؛ وَلِهَذَا قَالَ : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) أَيْ : لَا يُرِيدُونَهُ وَلَا يُحِبُّونَهُ ، (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ))[٧٩] .

الفائدة السادسة : وهذه الآية الكريمة فيها فائدة عظيمة أو فوائد متتابعة مستمرة ، فكأنما يقول قيوم السموات والأرض لعباده المؤمنين : تريدون النصر والتمكين والظهور على أعدائكم في الدنيا ، أنا معكم وأنصركم أينما كنتم وأجعل رايتكم خفاقة ، ورؤوسكم مرفوعة ، وصدوركم منشرحة ، وأصلح بالكم ، وأؤيدكم أينما حللتم ، وتجدوني معكم أينما قصدتم ، ثم أثبتكم على الحق ، وأجنبكم مهاوي الباطل ، كل ذلك لكم ، إذا نصرتم دينكم، وأطعتم الله ورسوله !!!

نعم والله إنها فوائد متتابعة لا تنتهي ، فأنصروا ربكم وتنعموا في خير الدنيا والآخرة ، فأنكم تنصرون من بيده الخير كله ، وبمقدوره دفع الشر كله ، فلا تهنوا ولا تقصروا ، وأبذلوا أنفسكم تحصدون النعيم الدائم ، والنصر الشافي لما في الصدور ، ولا تضركم المكائد ولا تنتصر عليكم

الجيوش الجرارة ، والكتائب المدرعة ، فإنكم تتحالفون مع من بيده القوة والتمكين ، فتمسكوا بالجهاد والدين .

وقال البقاعي[٨٠]:(وَلَمَّا ذَكَرَ الْقِتَالَ، تَشَوَّفَ السَّامِعُ إِلَى حَالِ الْمُقَاتِلِ مِنَ النَّصْرِ وَالْخِذْلَانِ فَأَجَابَ بِمَا يُعْرَفُ بِشَرْطِ النَّصْرِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَيْ: أَقَرُّوا بِذَلِكَ وَإِنْ كَانَ فِي أَدْنَى الدَّرَجَاتِ بِمَا أَشْعَرَتْ بِهِ أَدَاةُ الْبُعْدِ وَالصِّلَةُ بِالْمَاضِي إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ أَيْ: يَتَجَدَّدُ لَكُمْ نِيَّةٌ مُسْتَمِرَّةٌ وَفِعْلٌ دَائِمٌ عَلَى نُصْرَةِ دِينِ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ بِإِيضَاحِ أَدِلَّتِهِ وَتَبْيِينِهَا وَتَوْهِيَةِ شُبْهِ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَقِتَالِهِمْ، وَيَكُونُ ذَلِكَ خَالِصًا لَهُ لَا لِغَيْرِهِ مِنَ النِّيَّاتِ الْفَاسِدَةِ الْمَعْلُولَةِ بِطَلَبِ الدُّنْيَا أَوِ الشُّهْرَةِ بِالشَّجَاعَةِ وَالْعِلْمِ وَطِيبِ الذِّكْرِ والْغَضَبِ لِلْأَهْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ يَنْصُرْكُمْ فَإِنَّهُ النَّاصِرُ لَا غَيْرُهُ مِنْ عَدَدٍ أَوْ عُدَدٍ فَيَقْمَعُ أَعْدَاءَ الدِّينِ بِأَيْدِيكُمْ ،وَلَمَّا كَانَ النَّصْرُ قَدْ يَكُونُ مَعَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْفَشَلِ بَيَّنَ أَنَّهُ يَحْمِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ: وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ أَيْ: تَثْبِيتًا عَظِيمًا بِأَنْ يَمْلَأَ قُلُوبَكُمْ سَكِينَةً وَاطْمِئْنَانًا وَأَبْدَانَكُمْ قُوَّةً وَشَجَاعَةً فِي حَالِ الْقَتْلِ وَوَقْتَ الْبَحْثِ وَالْجِدَالِ، وَعِنْدَ مُبَاشَرَةِ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ، فَتَكُونُوا عَالِينَ قَاهِرِينَ فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنْ طِيبِ النُّفُوسِ وَانْشِرَاحِ الصُّدُورِ ثِقَةً بِاللَّهِ وَاعْتِزَازًا بِهِ وَإِنْ اجْتَمَعَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْأَرْضِ)[٨١].

المجموعة الثالثة (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَما تَأْكُلُ الْأَنْعامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ (١٢) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْناهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ (١٣) أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ (١٤) مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا ماءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ (١٥))

ثم ينتقل السياق إلى ترغيب المؤمنين بما أعد الله تعالى لهم من جنات تريح النفوس وتسعد القلوب ، مع التذكير بأن أعدائهم في نار لا تحتمل وشقاء لا ينقضي ، وإن أولئك الذين أخرجوك يا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من مكة المكرمة هم أضعف من أقوام آخرين حاربوا رسل الله فأهلكهم ، ولم يجدوا من ينصرهم من عذاب الله الماحق الساحق ، ثم يصف الجنة بأوصاف جميلة بليغة تجعل النفوس تشتاق لها وتتمنى دخولها ، ثم يُذكرهم بنارٍ شديدةٍ فيها ماء حار يقطع أمعاء العصاة !!!

قال الفخر الرازي : (لَمَّا بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا بَيَّنَ حَالَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَقَالَ : إِنَّهُ يُدْخِلُ الْمُؤْمِنَ الْجَنَّةَ وَالْكَافِرَ النَّارَ وَفِيهِ مَسَائِلُ :

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى : كَثِيرًا مَا يَقْتَصِرُ اللَّهُ عَلَى ذِكْرِ الْأَنْهَارِ فِي وَصْفِ الْجَنَّةِ ؛ لِأَنَّ الْأَنْهَارَ يَتْبَعُهَا الْأَشْجَارُ ، وَالْأَشْجَارُ تَتْبَعُهَا الثِّمَارُ وَلِأَنَّهُ سَبَبُ حَيَاةِ الْعَالَمِ ، وَالنَّارُ سَبَبُ الْإِعْدَامِ ، وَلِلْمُؤْمِنِ الْمَاءُ يَنْظُرُ إلَيْهِ وَيَنْتَفِعُ بِهِ ، وَلِلْكَافِرِ النَّارُ يَتَقَلَّبُ فِيهَا وَيَتَضَرَّرُ بِهَا .

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : ذَكَرْنَا مِرَارًا أَنَّ "مِنْ" فِي قَوْلِهِ : (مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ صِلَةً مَعْنَاهُ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ مَاءَهَا مِنْهَا لَا يَجْرِي إلَيْهَا مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ ، فَيُقَالُ : هَذَا النَّهْرُ مَنْبَعُهُ مِنْ أَيْنَ ؟ يُقَالُ : مِنْ عَيْنِ كَذَا مِنْ تَحْتِ جَبَلِ كَذَا .

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : قَالَ : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ) خَصَّهُمْ بِالذِّكْرِ مَعَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ أَيْضًا لَهُ التَّمَتُّعُ بِالدُّنْيَا وَطَيِّبَاتِهَا ، نَقُولُ : مَنْ يَكُونُ لَهُ مُلْكٌ عَظِيمٌ وَيَمْلِكُ شَيْئًا يَسِيرًا أَيْضًا لَا يُذْكَرُ إلَّا بِالْمُلْكِ الْعَظِيمِ ، يُقَالُ فِي حَقِّ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ صَاحِبُ الضَّيْعَةِ الْفُلَانِيَّةِ وَمَنْ لَا يَمْلِكُ إلَّا

شَيْئًا يَسِيرًا فَلَا يُذْكَرُ إِلَّا بِهِ ، فَالْمُؤْمِنُ لَهُ مُلْكُ الْجَنَّةِ فَمَتَاعُ الدُّنْيَا لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ فِي حَقِّهِ وَالْكَافِرُ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الدُّنْيَا...وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ) يَحْتَمِلُ وُجُوهًا :

أَحَدُهَا : أَنَّ الْأَنْعَامَ يُهِمُّهَا الْأَكْلُ لَا غَيْرُ ، وَالْكَافِرُ كَذَلِكَ وَالْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ لِيَعْمَلَ صَالِحًا وَيَقْوَى عَلَيْهِ وَثَانِيهَا : الْأَنْعَامُ لَا تَسْتَدِلُّ بِالْمَأْكُولِ عَلَى خَالِقِهَا وَالْكَافِرُ كَذَلِكَ .

وَثَالِثُهَا : الْأَنْعَامُ تُعْلَفُ لِتَسْمُنَ وَهِيَ غَافِلَةٌ عَنِ الْأَمْرِ ، لَا تَعْلَمُ أَنَّهَا كُلَّمَا كَانَتْ أَسْمَنَ كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى الذَّبْحِ وَالْهَلَاكِ ، وَكَذَلِكَ الْكَافِرُ ، وَيُنَاسِبُ ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى : (وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ).

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ : قَالَ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِ : (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ) بِصِيغَةِ الْوَعْدِ ، وَقَالَ فِي حَقِّ الْكَافِرِ: (وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) بِصِيغَةٍ تُنْبِئُ عَنِ الِاسْتِحْقَاقِ ، لِمَا ذَكَرْنَا أَنَّ الْإِحْسَانَ لَا يَسْتَدْعِي أَنْ يَكُونَ عَنِ اسْتِحْقَاقٍ ، فَالْمُحْسِنُ إِلَى مَنْ لَمْ يُوجَدْ مِنْهُ مَا يُوجِبُ الْإِحْسَانَ كَرِيمٌ ، وَالْمُعَذِّبُ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ ظَالِمٌ)[٨٢] .

الفائدة السابعة : في هذه الآيات يدعو الله تعالى المؤمنين إلى الإطمئنان بأنه سبحانه سيدخلهم جنات جميلات تُسعد ساكنيها ، وتُنسيهم ما ذاقوا من هموم ومصائب في الدنيا، وإن أولئك الأعداء الذين سقوهم كؤوس العذاب في الدنيا ، سيدخلون جهنم ويتذوقون ألوان العذاب ، ثم إنها تخاطب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله مباشرة أن اطمئن فإن من أخروجك من مكة مكرمة ضعفاء، فهم ليسوا بأقوى من قوم عاد وثمود وفرعون ، عاقبهم الله تعالى بعقاب عظيم ، فقوم عاد أرسل عليهم ريحاً قوية لا تحتمل ، قامت بتقطيع أوصالهم حتى أن الرجل القوي لتنفصل أعضائه عضواً عضواً فتجد رأسه في جهة، وقدمه في جهة ، أما ثمود فقد نزلت بهم صاعقة ذات صوت عظيم خلعت قلوبهم من صدورهم ، وتفجرت آذانهم ، ثم ماتوا جميعاً ، وكذلك العذاب الذي نزل بفرعون وقومه فإنهم أُغرقوا وماتوا وهم ينظرون بحسرة لموسى عليه الصلاة والسلام وقومه ، وقد أنقذهم الله تعالى وأخرجهم من البحر سالمين غانمين ، ثم تصف الآيات الكريمات الجنة بأوصاف لم ترد في القرآن إلا في هذه السورة فهي تصف أنهار الجنة وأنها أنواع فمنها أنهار من ماء ، ومنها أنهار من لبن ، ومنها أنهار من خمر خاص ليس كخمر الدنيا ، ومنها أنهار من عسل مميز لذيذ وهنا إلتفاتة جميلة فإن مكة والمدينة لا تشتهر بالعسل والعرب يسمعون به ولكن القليل منهم من ذاقه ، فهو عندهم مثل الدواء ، فإذا

بالآية تخبرهم أنهم سيجدون أنهاراً من العسل ...إن التأمل في الآيات السابقة ليسكب في القلوب الراحة والسكينة والطمأنينة ، وإنها تُهون عن القلوب المتعبة تعبها ونصبها ، وتعطيها وقوداً لا ينضب من الصبر واليقين .

قال الطاهر بن عاشور: (اسْتِئْنَافٌ بَيَانِيٌّ لِأَنَّ مَا جَرَى مِنْ ذِكْرِ الْجَنَّةِ فِي قَوْلِهِ (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) مِمَّا يَسْتَشْرِفُ السَّامِعُ إِلَى تَفْصِيلِ بَعْضِ صِفَاتِهَا ، وَإِذْ قَدْ ذُكِرَ أَنَّهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ مُوهِمٌ السَّامِعَ أَنَّهَا أَنْهَارُ الْمِيَاهِ لِأَنَّ جَرْيَ الْأَنْهَارِ أَكْمَلُ مَحَاسِنِ الْجَنَّاتِ الْمَرْغُوبِ فِيهَا ، فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ تَوْصِيفِ حَالِ فَرِيقَيِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ ، وَمِمَّا أَعَدَّ لِكِلَيْهِمَا ، وَمِنْ إِعْلَانِ تَبَايُنِ حَالَيْهِمَا ثُنِيَ الْعِنَانُ إِلَى بَيَانِ مَا فِي الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ، وَخُصَّ مِنْ ذَلِكَ بَيَانُ أَنْوَاعِ الْأَنْهَارِ، وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ مَوْقِعَ الْجُمْلَةِ كَانَ قَوْلُهُ مَثَلُ الْجَنَّةِ مُبْتَدَأً مَحْذُوفَ الْخَبَرِ وَالتَّقْدِيرُ : مَا سَيُوصَفُ أَوْ مَا سَيُتْلَى عَلَيْكُمْ ، أَوْ مِمَّا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ،

وَقَوْلُهُ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ مُقَدَّرٌ فِيهِ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ دَلَّ عَلَيْهِ مَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِهِ تعالى (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) ، وَالتَّقْدِيرُ : أَكَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ جُمْلَةُ مَثَلُ الْجَنَّةِ بَدَلًا مِنْ جُمْلَةِ (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) فَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي حَيِّزِ الِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ ، وَالْخَبَرُ قَوْلُهُ (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ) ، أَيْ كَحَالِ مَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ اخْتِلَافَ حَالِ النَّارِ عَنْ حَالِ الْجَنَّةِ ، فَحَصَلَ نَحْوُ الِاحْتِبَاكِ[٨٣] إِذْ دَلَّ مَثَلُ الْجَنَّةِ عَلَى مَثَلِ أَصْحَابِهَا وَدَلَّ مَثَلُ مَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ عَلَى مَثَلِ النَّارِ .

وَالْمَقْصُودُ : بَيَانُ الْبَوْنِ بَيْنَ حَالَيِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ بِذِكْرِ التَّفَاوُتِ بَيْنَ حَالَيْ مَصِيرِهِمَا الْمُقَرَّرِ فِي قَوْلِهِ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ إِلَى آخِرِهِ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ ذِكْرَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَأَصْحَابِ النَّارِ فِي خِلَالِ ذِكْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَقَالَ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ وَقَالَ بَعْدَهُ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ .

وَلِقَصْدِ زِيَادَةِ تَصْوِيرِ مُكَابَرَةِ مَنْ يُسَوِّي بَيْنَ الْمُتَمَسِّكِ بِبَيِّنَةِ رَبِّهِ وَبَيْنَ التَّابِعِ لِهَوَاهُ ، أَيْ هُوَ أَيْضًا كَالَّذِي يُسَوِّي بَيْنَ الْجَنَّةِ ذَاتِ تِلْكَ الصِّفَاتِ وَبَيْنَ النَّارِ ذَاتِ صِفَاتٍ ضِدِّهَا .

العدد ٦١

٧ شعبان ١٤٤١هـ

٣١ آذار ٢٠٢٠م

وَفِيهِ اطِّرَادُ أَسَالِيبِ السُّورَةِ إِذِ افْتُتِحَتْ بِالْمُقَابَلَةِ بَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَأُعْقِبَ بِاتِّبَاعِ الْكَافِرِينَ الْبَاطِلَ وَاتِّبَاعِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَقَّ ، وَثُلِّثَ بِقُولِهِ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ إِلَخْ .

وَالْمَثَلُ : الْحَالُ الْعَجِيبُ .

وَجُمْلَةُ فِيهَا أَنْهَارٌ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهَا تَفْصِيلٌ لِلْإِجْمَالِ الَّذِي فِي جُمْلَةِ مَثَلُ الْجَنَّةِ ، فَهُوَ اسْتِئْنَافٌ ، أَوْ بَدَلٌ مُفَصَّلٌ مِنْ مُجْمَلٍ عَلَى رَأْيِ مَنْ يُثْبِتُهُ فِي أَنْوَاعِ الْبَدَلِ .

وَالْأَنْهَارُ : جَمْعُ نَهْرٍ ، وَهُوَ الْمَاءُ الْمُسْتَبْحِرُ الْجَارِي فِي أُخْدُودٍ عَظِيمٍ مِنَ الْأَرْضِ ... فَأَمَّا إِطْلَاقُ الْأَنْهَارِ عَلَى أَنْهَارِ الْمَاءِ فَهُوَ حَقِيقَةٌ ، وَأَمَّا إِطْلَاقُ الْأَنْهَارِ عَلَى مَا هُوَ مِنْ لَبَنٍ وَخَمْرٍ وَعَسَلٍ فَذَلِكَ عَلَى طَرِيقَةِ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ ، أَيْ مُمَاثَلَةٌ لِلْأَنْهَارِ ، فَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْمُمَاثَلَةُ تَامَّةً فِي أَنَّهَا كَالْأَنْهَارِ مُسْتَبْحِرَةٌ فِي أَخَادِيدَ مِنْ أَرْضِ الْجَنَّةِ فَإِنَّ أَحْوَالَ الْآخِرَةِ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ الْمَعْرُوفَةِ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَرْأَى أَنْهَارٍ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ مَرْأًى مُبْهِجٌ ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُمَاثَلَةُ هَذِهِ الْأَصْنَافِ لِلْأَنْهَارِ فِي بَعْضِ صِفَاتِ الْأَنْهَارِ وَهِيَ الِاسْتِبْحَارُ . وَهَذِهِ الْأَصْنَافُ الْخَمْسَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْآيَةِ كَانَتْ مِنْ أَفْضَلِ مَا يَتَنَافَسُونَ فِيهِ وَمِنْ أَعَزِّ مَا يَتَيَسَّرُ الْحُصُولُ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ الْكَثِيرُ مِنْهَا ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مِنْهَا أَنْهَارٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَتُنَاوُلُ هَذِهِ الْأَصْنَافِ مِنَ التَّفَكُّهِ الَّذِي هُوَ تَنَعُّمُ أَهْلِ الْيَسَارِ وَالرَّفَاهِيَةِ .

وَقَدْ ذُكِرَ هُنَا أَرْبَعَةُ أَشْرِبَةٍ هِيَ أَجْنَاسُ أَشْرِبَتِهِمْ ، فَكَانُوا يَسْتَجِيدُونَ الْمَاءَ الصَّافِيَ لِأَنَّ غَالِبَ مِيَاهِهِمْ مِنَ الْغُدْرَانِ وَالْأَحْوَاضِ بِالْبَادِيَةِ تَمْتَلِئُ مِنْ مَاءِ الْمَطَرِ أَوْ مِنْ مُرُورِ السُّيُولِ فَإِذَا اسْتَقَرَّتْ أَيَّامًا أَخَذَتْ تَتَغَيَّرُ بِالطُّحْلُبِ وَبِمَا يَدْخُلُ فِيهَا مِنَ الْأَيْدِي وَالدِّلَاءِ ، وَشُرْبِ الْوُحُوشِ ، وَقَلِيلٌ الْبِلَادُ الَّتِي تَكُونُ مُجَاوِرَةً الْأَنْهَارَ الْجَارِيَةَ .

وَكَذَلِكَ اللَّبَنُ كَانُوا إِذَا حَلَبُوا وَشَرِبُوا أَبْقَوْا مَا اسْتَفْضَلُوهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ لِأَنَّهُمْ لَا يَحْلُبُونَ إِلَّا حَلْبَةً وَاحِدَةً أَوْ حَلْبَتَيْنِ فِي الْيَوْمِ فَيَقَعُ فِي طَعْمِ اللَّبَنِ تَغْيِيرٌ .

فَأَمَّا الْخَمْرُ فَكَانَتْ قَلِيلَةً عَزِيزَةً عِنْدَهُمْ لِقِلَّةِ الْأَعْنَابِ فِي الْحِجَازِ إِلَّا قَلِيلًا فِي الطَّائِفِ ، فَكَانَتْ الْخَمْرُ تُجْتَلَبُ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ وَمِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ ، وَكَانَتْ غَالِيَةَ الثَّمَنِ وَقَدْ يَنْقَطِعُ جَلْبُهَا زَمَانًا فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ لِعُسْرِ السَّيْرِ بِهَا فِي الطُّرُقِ وَفِي أَوْقَاتِ الْحُرُوبِ أَيْضًا خَوْفَ انْتِهَابِهَا .

وَالْعَسَلُ هُوَ أَيْضًا مَنْ أَشْرَبَتِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى فِي النَّحْلِ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ وَالْعَرَبُ يَقُولُونَ : سَقَاهُ عَسَلًا ، وَيَقُولُونَ : أَطْعَمَهُ عَسَلًا ، وَكَانَ الْعَسَلُ مَرْغُوبًا فِيهِ، يُجْتَلَبُ مِنْ بِلَادِ الْجِبَالِ ذَاتِ النَّبَاتِ الْمُسْتَمِرِّ .

فَأَمَّا الثَّمَرَاتُ فَبَعْضُهَا كَثِيرٌ عِنْدَهُمْ كَالتَّمْرِ وَبَعْضُهَا قَلِيلٌ كَالرُّمَّانِ .

وَالْآسِنُ : وَصْفٌ مَنْ أَسَنَ الْمَاءُ مِنْ بَابِ ضَرَبَ وَنَصَرَ وَفَرِحَ ، إِذَا تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ... ، وَاللَّذَاذَةُ : انْفِعَالٌ نَفْسَانِيٌّ فِيهِ مَسَرَّةٌ ، وَهِيَ ضِدُّ الْأَلَمِ وَأَكْثَرُ حُصُولِهِ مِنَ الطَّعُومِ وَالْأَشْرِبَةِ وَالْمَلَامِسِ الْبَدَنِيَّةِ ، فَوَصْفُ خَمْرٍ هُنَا بِأَنَّهَا " لَذَّةٍ " مَعْنَاهُ يَجِدُ شَارِبُهَا لَذَاذَةً فِي طَعْمِهَا ، أَيْ بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حَرِيقَةُ الطَّعْمِ فَلَوْلَا تَرَقُّبُ مَا تَفْعَلُهُ فِي الشَّارِبِ مِنْ نَشْوَةٍ وَطَرَبٍ لَمَا شَرِبَهَا لِحُمُوضَةِ طَعْمِهَا .

وَالْعَسَلُ الْمُصَفَّى : الَّذِي خُلِّصَ مِمَّا يُخَالِطُ الْعَسَلَ مِنْ بَقَايَا الشَّمْعِ وَبَقَايَا أَعْضَاءِ النَّحْلِ الَّتِي قَدْ

تَمُوتُ فِيهِ ،... وَمَعْنَى مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ أَصْنَافٌ مِنْ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الثَّمَرَاتِ ، فَالتَّعْرِيفُ فِي الثَّمَرَاتِ لِلْجِنْسِ ، وَ (كُلٌّ) مُسْتَعْمَلَةٌ فِي حَقِيقَتِهَا وَهُوَ الْإِحَاطَةُ ، أَيْ جَمِيعُ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مِمَّا عَلِمُوهُ فِي الدُّنْيَا وَمَا لَمْ يَعْلَمُوهُ مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ ، وَ (مِنْ) تَبْعِيضِيَّةٌ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ – تَعَالَى –(فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ)[٨٤] ، وَ " مَغْفِرَةٌ " عَطْفٌ عَلَى " أَنْهَارٌ " وَمَا بَعْدَهُ، أَيْ وَفِيهَا مَغْفِرَةٌ لَهُمْ ، أَيْ تَجَاوُزٌ عَنْهُمْ ، أَيْ إِطْلَاقٌ فِي أَعْمَالِهِمْ لَا تَكْلِيفَ عَلَيْهِمْ كَمَغْفِرَتِهِ لِأَهْلِ بَدْرٍ ... وَقَوْلُهُ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا جِيءَ بِهِ لِمُقَابَلَةِ مَا وُصِفَ مِنْ حَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الَّذِي فِي قَوْلِهِ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ إِلَى قَوْلِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، أَيْ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ مَحْرُومُونَ مِنْ جَمِيعِ

مَا ذُكِرَ مِنَ الْمَشْرُوبَاتِ ، وَلَيْسُوا بِذَائِقِينَ إِلَّا الْمَاءَ الْحَمِيمَ الَّذِي يُقَطِّعُ أَمْعَاءَهُمْ بِفَوْرِ سَقْيِهِ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يُعَرِّجْ هُنَا عَلَى طَعَامِ أَهْلِ النَّارِ ... وَضَمِيرُ " سُقُوا " رَاجِعٌ إِلَى مَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ بِاعْتِبَارِ مَعْنَى (مَنْ) وَهُوَ الْفَرِيقُ مِنَ الْكَافِرِينَ بَعْدَ أَنْ أُعِيدَ عَلَيْهِ ضَمِيرُ الْمُفْرَدِ فِي قَوْلِهِ هُوَ خَالِدٌ)[٨٥].

وإلى هذه الآية الكريمة أتوقف في ذكر الفوائد المستخلصة من سورة محمد صلى الله عليه وعلى آله وأدعو الله سبحانه أن يعينني إلى إستكمالها في بحثٍ ثانٍ إن ربي سميع الدعاء .

العدد ٦١

٧ شعبان ١٤٤١هـ

٣١ آذار ٢٠٢٠م

الخاتمة

١- إن التدبر في المجموعة الأولى من السورة الكريمة مدار البحث يطبع في قلب المؤمن الطمأنينة والسكينة ، لقضاء الله تعالى وتدبيره ، فهو سبحانه حكيم خبير لا يدع المؤمنين على ما هم فيه من ضرر ، بل ينصحهم ويوجهم ، ويهديهم لخير الدنيا والآخرة

٢- أما المجموعة الثانية فتُعلمَ المؤمنين بسنةٍ كونية لا تحيد وهي: أَنَّ الله تعالى سينصرهم ، إن هم اتبعوا شرعه بل ويثبتهم على الهدى ، أما أعدائهم فعقابه سبحانه لهم بالمرصاد .

٣- وفي المجموعة الثالثة تذكيرٌ أن الله تعالى لن يتخلى عن عباده وسيدخلهم الجنة في الآخرة ، وأن من أخرجوهم من مكة المكرمة وبغوا عليهم.. في ذلٍ وخسران ، وهم كالانعام فلا تبالوا بهم ، وإن ما أعد الله تعالى لعباده من أنهارِ ماءٍ ولبنٍ وخمرٍ مميز وعسلٍ مصفى تستحق منهم أن يصبروا على الأذى والظلم ، وإن أعدائهم سيلقون الويل والثبور حتى تتقطع أمعائهم_من ماءٍ حار لا يُحتمل ، وإلى الله تعالى الأمر والحكم والله تعالى أعلم .

٧
شعبان
١٤٤١هـ

٣١ آذار
٢٠٢٠م

هوامش البحث:

(١) -سورة النحل- الآية ٨٩.

(٢) سورة النساء- الآية ١١٣ .

(٣) سورة الشورى –الآية ٥٢ .

(٤) سُنن ابن ماجه – أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (ت ٢٧٣هـ) – ت محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي – ١/ ٧٨ – قال محقق الكتاب: صحيح .

(٥) ((ثَوَرَ) الثَّاءُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ قَدْ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا بِأَدْنَى نَظَرٍ، فَالْأَوَّلُ انْبِعَاثُ الشَّيْءِ، وَالثَّانِي جِنْسٌ مِنَ الْحَيَوَانِ)- يُنظر مقاييس اللغة – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي(ت ٣٩٥هـ)- ت عبد السلام محمد هارون – دار الفكر- ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م – ١/ ٣٩٥.

(٦) المعجم الكبير- أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ) – ت حمدي بن عبد المجيد السلفي –دار الصميعي – الرياض – الطبعة الثانية – ٩/ ١٣٥ .

(٧) سُنن أبي داود – أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجستاني (ت ٢٧٥هـ) – ت محمد محيي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ٤/ ٢٦١- حكم الالباني: حسن .

(٨) يُنظر عون المعبود شرح سنن أبي داود – أبو الطيب محمد شمس الحق آبادي – ت عبد الرحمن محمد عثمان – المكتبة السلفية – المدينة المنورة – الطبعة الثانية – ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨ م – ١٣/ ١٣٢ .

(٩) يُنظر لسان العرب- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)- دار صادر- لبنان – ٢٠٠٣م- ١١/ ٢٥٠ .

(١٠) يُنظر مختار الصحاح- أبو عبدالله زين الدين محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي(ت ٦٦٦هـ)- ت يوسف الشيخ محمد- المكتبة العصرية ، الدار النموذجية – صيدا- لبنان- الطبعة الخامسة- ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م- ص٢٤٥.

(١١) هو الْإِمامُ شَمسُ الدينِ مُحمدُ بنُ أَبي بَكرِ بنِ أَيوبَ الزُّرَعِيُّ، إمامُ الجوزِيَّةِ (مدرسة) ، وابنُ قَيمِها، سَمِعَ الحديثَ، واشْتَغَلَ بِالعلمِ، فَبَرَعَ فِي علومٍ مُتَعَدِّدةٍ، لَا سِيمَا عِلْمُ التفسِيرِ، والحَدِيثِ والأَصلينِ، تُوفِّيَ سنة (٧٥١هـ) – يُنظر البدايةُ والنهايةُ- أبو الفداءِ إسْماعيلُ بنُ عمرِ بن كثيرَ القُرشي الدِمشْقي(ت ٧٧٤هـ)- ت عبد الله بن عبد المحسن التركي- دار هجر للطباعة والنشر –الطبعة الأولى- ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م- ١٨/ ٥٢٣

٧ شعبان ١٤٤١هـ

٣١ آذار ٢٠٢٠م

(١٢) يُنظر مقدمة تحقيق كتاب بدائع الفوائد- ابو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية-ت علي بن محمد العمران- إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد- دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - ١/٥-٦ .

(١٣) يُنظر مقاييس اللغة- ٢/٢٠٨ .

(١٤) يُنظر لسان العرب- ٥/ ١٢٦ .

(١٥) هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة ، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات منها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، توفي سنة ١٩٧٣م - يُنظر الأعلام - خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)- دار العلم للملايين - الطبعة الخامسة عشر - ٢٠٠٢م - ٦/١٧٤.

(١٦) يُنظر الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)- ت محمد زهير الناصر- دار طوق النجاة- الطبعة الأولى- ١٤٢٢هـ- كتاب تفسير القرآن -كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ - بَابُ {وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} - ٦/ ١٣٤ .

(١٧) المقصود: أن سورة نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم نزلت قبل سورة آل عمران .

(١٨) سورة آل عمران -الآية ١٤٤ .

(١٩) يُنظر (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) - محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي(ت ١٣٩٣هـ) - الدار التونسية للنشر -تونس - ١٩٨٤ م - ٢٦ / ٧١.

(٢٠) سورة نبينا محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - الآيات ١- ٦ .

(٢١) سورة النمل- الآية ٤٣ .

(٢٢) صحيح مسلم- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت ٢٦١هـ)- ت محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي -بيروت- كتاب السَّلَامِ- بابُ تحرِيمِ الكهانةِ وإِتيانِ الكُهانِ- ٤/ ١٧٤٨.

(٢٣) يُنظر لسان العرب- ٣/ ٢٤٥ .

(٢٤) سورة ص- الآية ٤ .

(٢٥) سورة الحجر- الآية ٦ .

(٢٦) سورة الفرقان- الآيات ٤- ٨ .

(٢٧) (وقد ذكر عبد الله بن السائب المخزومي - وهو شاهد عيان اشترك في بناء الكعبة يومئذ - بأن قريشاً قالت لما دخل النبي من باب بني شيبة "أتاكم الأمين")- يُنظر السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصحيْحَةُ - د. أكرم ضياء العمري - مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- الطبعة السادسة- ١٤١٥ هـ - ١/١١٦ ، نقلاً عن مسند الامام أحمد- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني(ت ٢٤١هـ)- ت شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرون-إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي-مؤسسة الرسالة-الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ- ٣/٤٢٥ ، والمستدرك على الصحيحين- أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله

النيسابوري(ت٤٠٥هـ)-ت مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية – بيروت -الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ- ٤٥٨/٣ .

(٢٨) (قالَ ابنُ اسحق: ولم يَعلمُ بخروج رسول الله أحدٌ حين خرج إلا علي وأبو بكر رضي الله تعالى عنهما أما علي فإن رسول الله أخبره بخروجه وأمره أن يؤدي عن رسول الله الودائع التي كانت عنده للناس وكان رسول الله ليس بمكة أحدٌ عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده) –يُنظر تهذيب سيرة ابن هشام – عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت ٢١٨هـ) – ت عبد السلام هارون – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٦هـ – ص١٤٤ .

(٤) قال أبو عبيد:(يعني الأسقية والقُرب ... ، ويقال للسِقاءِ شَنَّ وللقربة شَنَّ، وإنما ذكر الشِنانَ دون الجُدد لأنها أشدُ تبريداً للماء من الجُدد... وفي حديث عمر بن عبد العزيز: إذا استَشنَّ ما بينك وبين الله تعالى فابْلُلهُ بالإحسانِ إلى عِبادهِ ، أي إذا أَخْلقَ) – يُنظر لسان العرب- ١٣ / ٢٤١ .

(٢٩) صحيح البخاري- كتاب مناقب الأنصار- بابُ إسلامِ أَبي ذرٍّ الغفاريِّ رضيَ اللَّهُ عنهُ- ٤٧/٥

(٣٠) قال أبو عبيد:(قاموس البحر وسطه ، وقال ابن دريد : لُجتهُ) – يُنظر صحيح مسلم بشرح النووي- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)- إشراف علي عبد الحميد أبو الخير-دار السلام –القاهرة- ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م –٦/ ١٥٧ .

(٣١) يُنظر صحيح مسلم- كتاب الجمعة –باب تخفيف الصلاة والخطبة- ٥٩٣/٢ .

(٣٢) هو أبو الثناء محمود شهاب الدين بن عبد الله بن محمود الآلوسي ، مفسراً، ومحدثاً، وفقيهاً، وأديباً، وشاعراً ، أتم دروسه على كثير من علماء عصره منهم عبد العزيز الشواف ، والشيخ علي السويدي وغيرهما، ومن مصنفاته روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول ، دقائق التفسير، توفي سنة ١٢٧٠هـ – يُنظر أعلام العراق- محمد بهجة الأثري- ١٣٤٥هـ- ص ٢١.

(٣٣) سورة البقرة- الآية ٢ .

(٣٤) يُنظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)- تحقيق علي عبد الباري عطية- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الاولى ١٤١٥هـ- ١٩٥/١٣ .

(٣٥) هو الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الشافعي المفسر المتكلم، قال ابن خلكان فيه : فريد عصره ، وله التفسير الكبير والمحصول في أصول الفقه ، وشرح الأسماء الحسنى ، وشرح وجيز الغزالي وغيرها- تُوفي سنة ٦٠٦هـ – يُنظر طبقات المفسرين- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)- ت علي محمد عمر- مكتبة وهبة –القاهرة – الطبعة الأولى- ١٣٩٦هـ – ص ١١٥.

(٣٦) يُنظر التفسير الكبير- أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي(ت ٦٠٦هـ)- دار إحياء التراث العربي- بيروت- الطبعة الثالثة – ١٤٢٠هـ – ٧٥/١٤ .

(٣٧) هو ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاويّ كان إماماً علامةً ، عارفاً بالفقه والتفسير والأصلين والعربية ، صنّف تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل و مختصر الكشّاف و المنهاج في الأصول؛ وشرحه أيضا، ، ولي قضاء القضاة بشيراز، توفي سنة ٦٨٥هـ – يُنظر طبقات المفسرين– محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداوودي المالكي (ت ٩٤٥هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت– راجعه لجنة من العلماء– ٢٤٨/١ .

(٣٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل– أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)– ت محمد عبد الرحمن المرعشلي– دار إحياء التراث العربي– بيروت – الطبعة الأولى– ١٤١٨هـ– ١١٩/٥.

(٣٩) سورة طه –الآية ٥١ .

(٤٠) المفردات في غريب القرآن – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)– ت صفوان عدنان الداودي – دار القلم– الدار الشامية –دمشق – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤١٢هـ– ١٥٥ .

(٤١) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ،النحوي اللغوي، المعتزلي ، المفسّر، من مصنفاته : «الكشاف» في التفسير، «الفائق» في غريب الحديث، «أساس البلاغة»، وغيرها ، تُوفي سنة ٥٣٨هـ– يُنظر طبقات المفسرين للداوودي– ٣١٦/٢.

(٤٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل– أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)– دار الكتاب العربي –بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤٠٧ هـ – ٥١٤/٥ .

(٤٣) هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة ، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات منها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، توفي سنة ١٩٧٣م – يُنظر الأعلام – خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)– دار العلم للملايين – الطبعة الخامسة عشر – ٢٠٠٢م – ١٧٤/٦.

(٤٤) يُنظر التحرير والتنوير – ٢٦/ ٧٥ – ٧٦ .

(٤٥) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبريّ ،الإمام، صاحب التصانيف المشهورة ، استوطن بغداد، وأقام بها إلى حين وفاته ، ورحل في طلب الحديث، وقال الخطيب البغدادي عنه : أحد أئمة العلماء، يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه، وله الكتاب المشهور في «تاريخ الأمم والملوك» وكتاب «التفسير» الذي لم يُصنّف أحد مثله، وكتاب «تهذيب الآثار» ، تُوفيَ سنة ٣١٠هـ – يُنظر طبقات المفسرين للداوودي– ٢/ ١١٠ .

(٤٦) يُنظر جامع البيان في تأويل القرآن – أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري(٣١٠ هـ)– ت أحمد محمد شاكر– مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى– ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م – ١٥٣/٢٢.

العدد ٦١

٧ شعبان ١٤٤١هـ

٣١ آذار ٢٠٢٠م

(٤٧) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري المالكي القرطبي ، مُصنف «التفسير» المشهور،
كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، قال الذهبي: إمام مُتقن مُتبحر في العلم، له تصانيف مفيدة ، تُوفِيَ سنة ٦٧١ هـ – يُنظر طبقات المفسرين للداوودي – ٢/ ٦٩ .

(٤٨) الجامع لأحكام القرآن– أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)– ت عبد الله تركي و محمد رضوان – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الاولى– ٢٠٠٦م – ١٩ / ٢٤٢ .

(٤٩) كُنْهُ كلِّ شَيْءٍ : قَدْرُهُ وَنِهَايَتُهُ وَغَايَتُهُ ، يُقَالُ : اعْرِفْهُ كُنْهَ الْمَعْرِفَةِ ، وَفِي بَعْضِ الْمَعَانِي : كُنْهُ كُلِّ شَيْءٍ وَقْتُهُ وَوَجْهُهُ ، تَقُولُ : بَلَغْتُ كُنْهَ هَذَا الْأَمْرِ أَيْ غَايَتَهُ ، وَفَعَلْتُ كَذَا فِي غَيْرِ كُنْهِهِ ، وَأَنْشَدَ :
وَإِنَّ كَلَامَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لَكَالنَّبْلِ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا – يُنظر لسان العرب – ١٣/ ٥٣٧ .

(٥٠) دلالة السياق: هي مراعاة سابق الكلام ولاحقه في فهم معنى الآية –يُنظر معجم مصطلحات علوم القرآن– أ. د. محمد بن عبد الرحمن الشايع –دار التدمرية – الرياض– الطبعة الاولى– ١٤٣٣هـ– ٨٨ .

(٥١) وَأَوْمَأَ كَوَمَأَ، وَلَا تَقُلْ أَوْمَيْتُ، قَالَ اللَّيْثُ: الإيماءُ أَن تُومِئَ برأْسِكَ أَوْ بيَدِك ، ... قَالَ النَّضْرُ: زَعم أَبو الخَطَّابِ مُوامِئُه مُعايِنُه – يُنظر لسان العرب– ١/ ٢٠١.

(٥٢) (وَسَمَ) الْوَاوُ وَالسِّينُ وَالْمِيمُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى أَثَرٍ وَمَعْلَمٍ ، ... وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ} (سورة الحجر– الآية ٧٥) : النَّاظِرِينَ فِي السِّمَةِ الدَّالَّةِ –يُنظر مقاييس اللغة – ٦/ ١١١ .

(٥٣) يُنظر التحرير والتنوير– ٢٧/٧٧ .

(٥٤) رواه البخاري– كِتابُ العِلم – بَابُ فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ – ١/ ٢٧ ، ورواه مسلم واللفظ له – كِتابُ الفَضَائِل– بَابُ بَيَانِ مَثَلِ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ– ٤/١٧٨٧ .

(٥٥) أَبُو زَكَرِيَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف بن مري النَّوَوِيّ الْحَافِظ الزَّاهِد أحد الْأَعْلَام شيخ الْإِسْلَام أخذ علم الحَدِيث عَن جمَاعَة من الْحفاظ فَقَرَأَ كتاب الْكَمَال لعبد الْغَنِيّ النابلسي وَشرح مُسلم ومعظم البُخَارِيّ على أبي إِسْحَاق الْمرَادِي وتفقه على الْكَمَال المغربي ، تَصانيفه الرَّوْضَة وَشرح الْمُهَذّب والمنهاج فِي شرح مُسلم وَكتاب الْأَذْكَار وَكتاب رياض الصَّالِحين وغيرها تُوفي سنة ٦٧٦ هـ – يُنظر طبقات الشافعية– أبو بكر تقي الدين بن أحمد ابن قاضي شهبة(ت ٨٥١هـ)– ت د. الحافظ عبد العليم خان – عالم الكتب – بيروت – الطبعة الأولى– ١٤٠٧هـ – ٢/١٥٥.

(٥٦) يُنظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦ هـ)– دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانية– ١٣٩٢هـ – ١٥/٤٧ – ٤٨.

(٥٧) هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي الحافظ كان قدوة العلماء والحفاظ ، وصنّف كتاب «الأحكام على أبواب التنبيه» والتاريخ المسمّى «بالبداية والنهاية» و «التفسير» و «كتابا في جمع المسانيد العشرة» وغيرها ، تُوفي سنة ٧٧٤ هـ – يُنظر طبقات المفسرين للداوودي– ١/١١١.

(٥٨) سورة الْأَنْفَالِ – الآيتان ٦٧ – ٦٨ .

(٥٩) سورة التوبة – الآية ٥.

(٦٠) يُنظر تفسير القرآن العظيم – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)– ت سامي بن محمد سلامة– دار طيبة للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م – ٧ / ٣٠٧ .

(٦١) يُنظر جامع البيان – ٢٢/ ١٥٨ .

(٦٢) يُنظر التحرير والتنوير – ٢٧/ ٨٠.

(٦٣) صحيح البخاري– كتاب المظالم – باب قصاص المظالم والغصب – ٢ / ٨٦١.

(٦٤) لم أجده في تفسير ابن أبي حاتم ولا في تفسير مقاتل ، وذكره السيوطي في الدر – الدر المنثور في التفسير بالمأثور– جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)– دار الفكر – بيروت– ٤٦٢/٧.

(٦٥) روح المعاني – ٢٦ / ٤٣ .

(٦٦) سورة ابراهيم – الآيتان ٤٢– ٤٣ .

(٦٧) (وَحَكَى ثَعْلَبٌ أَنَّهُ مُشْتَرَكٌ يُقَالُ أَقْنَعَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَقْنَعَ إِذَا طَأْطَأَهُ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ الْوَجْهَانِ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ ينظر ثمَّ يطأطئه ذلاً وخضوعاً ، قَالَه بن التِّينِ وَأَمَّا قَوْلُهُ الْمُقْنِعُ وَالْمُقْمِحُ وَاحِدٌ فَذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ أَيْضًا فِي الْمَجَازِ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ يس وَزَادَ مَعْنَاهُ : أَنْ يَجْذِبَ الذَّقَنَ حَتَّى تَصِيرَ فِي الصَّدْرِ ثُمَّ يَرْفَعَ رَأْسَهُ) – يُنظر فتح الباري شرح صحيح البخاري – أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – ت محمد فؤاد عبد الباقي – قام صححه : محب الدين الخطيب– تعليق عبد العزيز بن عبد الله بن باز – دار المعرفة – بيروت– ١٣٧٩هـ – ٥ / ٩٥.

(٦٨) سورة ابراهيم – الآية ٤٣.

(٦٩) سورة ابراهيم – الآيات ٤٤– ٤٧ .

(٧٠) صحيح البخاري – كتاب تفسير القرآن– بَابُ قَوْلِهِ: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} – ٦ / ١١٥.

(٧١) سورة السجدة – الآية ١٧ .

(٧٢) هو أبو الْفضل أَحْمد بن علي بن أَحْمد الشهَاب العسقلانى الشافعى الْمَعْرُوف بِابْن حجر تفقه بالبلقيني والبرماوي وَابْن الملقن والعز بن جمَاعَة وَعَلِيهِ أَخذ غَالب الْعُلُوم الآلية والأصولية ، تصدى لنشر الحَدِيث وَقصر نَفسه عَلَيْهِ مطالعة واقراءً وتصنيفاً وإفتاءً وَشهد لَهُ بِالْحِفْظِ والإتقان الْقَرِيب والبعيد، أجلّ مصنفاته فتح الباري وَله مؤلفات في الْفِقْه وأصوله وَالْعرُوض والآداب ، توفي سنة ٨٥٢هـ –يُنظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع – محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني(ت ١٢٥٠هـ)– دار المعرفة – بيروت– ١ / ٨٧ .

(٧٣) يُنظر فتح الباري شرح صحيح البخاري –أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – دار المعرفة – بيروت–١٣٧٩– رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي – قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب – تعليقات الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز – ٥١٦/٨.

(٧٤) صحيح مسلم – كتاب الايمان – باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها – ١ / ١٧٦.

(٧٥) يُنظر الجامع لإحكام القرآن – ١٧ / ٣٦ .

(٧٦) يُنظر التحرير والتنوير – ٢١ / ٢٣٠ .

(٧٧) سورة الْحَج – الآية ٤٠ .

(٧٨) يُنظر صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير – باب الحراسة في الغزو في سبيل الله – ٤ / ٣٤ .

(٧٩) يُنظر تفسير القرآن العظيم – ٧ / ٣٠٧ .

(٨٠) هُو أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن البقاعي مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية ، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق ، له (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران) ، و(أخبار الجلاد في فتح البلاد) و (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) سبع مجلدات ، يعرف بمناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي ، توفي سنة ٨٨٥ هـ – يُنظر الأعلام للزركلي – ١/ ٥٦.

(٨١) يُنظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي(ت ٨٨٥هـ) – دار الكتاب الإسلامي– القاهرة – ١٨ / ٢٠٩.

(٨٢) يُنظر التفسير الكبير – ١٤ / ٣٢ .

(٨٣) (الاحتباك: هُوَ من الحبك الَّذِي مَعْنَاهُ الشد والإحكام وتحسين أثر الصَّنْعَة فِي الثَّوْب ، وهو من ألطف أَنْوَاع البديع وأبدعها؛ وَقد يُسمى حذف الْمُقَابل: وَهُوَ أَن يحذف من الأول مَا أثبت نَظِيره فِي الثَّانِي، وَمن الثَّانِي مَا أثبت نَظِيره فِي الأول كَقَوْلِه تَعَالَى: {ويعذب الْمُنَافِقين إِن شَاءَ أَو يَتُوب عَلَيْهِم} فَلَا يعذبهم)–يُنظر الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية– أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي الحنفي (١٠٩٤ هـ) – ت عدنان درويش و محمد المصري– مؤسسة الرسالة – بيروت– ١ / ٥٧.

(٨٤) سورة الرحمن – الآية ٥٢ .

(٨٥) يُنظر التحرير والتنوير – ٢٣ / ٦١ .

مصادر البحث

١ – القرآن الكريم .

٢ – أحكام القرآن – محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣ هـ)– ت محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة– ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

٣ – الأعلام – خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)– دار العلم للملايين – الطبعة الخامسة عشر – ٢٠٠٢م .

٤ – أعلام العراق– محمد بهجة الأثري– ١٣٤٥هـ .

٥ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل– أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)– ت محمد عبد الرحمن المرعشلي– دار إحياء التراث العربي– بيروت – الطبعة الأولى– ١٤١٨هـ .

٦ – بدائع الفوائد– ابو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية– ت علي بن محمد العمران– إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد– دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع .

٧ – البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع – محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني(ت ١٢٥٠هـ)– دار المعرفة – بيروت .

٨ – التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) – محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي(ت ١٣٩٣هـ) – الدار التونسية للنشر – تونس – ١٩٨٤ م

٩ – تفسير القرآن العظيم – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)– ت سامي بن محمد سلامة– دار طيبة للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .

١٠- التفسير الكبير- أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي(ت ٦٠٦هـ)- دار إحياء التراث العربي- بيروت- الطبعة الثالثة - ١٤٢٠هـ .
١١- تهذيب سيرة ابن هشام - عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري (ت ٢١٨هـ) - تهذيب عبد السلام هارون - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٦هـ .
١٢- جامع البيان في تأويل القرآن - أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري(٣١٠ هـ)- ت أحمد محمد شاكر- مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى- ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
١٣- الجامع لأحكام القرآن- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)- ت عبد الله تركي و محمد رضوان - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الاولى- ٢٠٠٦م .
١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)- تحقيق علي عبد الباري عطية- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الاولى ١٤١٥هـ .
١٥- سير أعلام النبلاء - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت ٧٤٨هـ)- مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثالثة - ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م- ٤٤٦/٩ .
١٦- السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصحيْحَةُ مُحاولَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ - د. أكرم ضياء العمري - مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- الطبعة السادسة- ١٤١٥ هـ .
١٧- صحيح مسلم- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت ٢٦١هـ)- ت محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
١٨- صحيح البخاري- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه - محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(ت ٢٥٦هـ)- ت محمد زهير الناصر- دار طوق النجاة- الطبعة الأولى- ١٤٢٢هـ .

العدد ٦١

٧ شعبان ١٤٤١هـ

٣١ آذار ٢٠٢٠م

١٩- طبقات المفسرين العشرين – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت ٩١١هـ) – ت علي محمد عمر – مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الأولى- ١٣٩٦هـ .

٢٠- طبقات المفسرين- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)- ت علي محمد عمر- مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الأولى- ١٣٩٦هـ

٢١- طبقات المفسرين- محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداوودي المالكي (ت ٩٤٥هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت- راجعه لجنة من العلماء- ٢٤٨/١ .

٢٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري – أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني –ت محمد فؤاد عبد الباقي – صححه : محب الدين الخطيب- تعليق عبد العزيز بن عبد الله بن باز – دار المعرفة – بيروت- ١٣٧٩هـ .

٢٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)- دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤٠٧ هـ .

٢٤- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية-أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي الحنفي (ت ١٠٩٤هـ) – ت عدنان درويش و محمد المصري- مؤسسة الرسالة – بيروت .

٢٥- لسان العرب- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)- دار صادر- لبنان – ٢٠٠٣م .

٢٦- مختار الصحاح- أبو عبدالله زين الدين محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي(ت ٦٦٦هـ)- ت يوسف الشيخ محمد- المكتبة العصرية ، الدار النموذجية – صيدا- لبنان- الطبعة الخامسة- ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .

٢٧- معجم مصطلحات علوم القرآن- أ. د. محمد بن عبد الرحمن الشايع – دار التدمرية – الرياض- الطبعة الاولى- ١٤٣٣هـ .

٢٨- المفردات في غريب القرآن – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)- ت صفوان عدنان الداودي – دار القلم- الدار الشامية – دمشق – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤١٢هـ .

٢٩- مقاييس اللغة- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي(ت ٣٩٥هـ)- ت عبد السلام محمد هارون - دار الفكر- ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .

٣٠- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - الإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)- إشراف علي عبد الحميد أبو الخير- دار السلام - القاهرة- ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م .

٣١- الناسخ والمنسوخ - أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي (ت ٣٣٨هـ)- ت د. محمد عبد السلام محمد - مكتبة الفلاح - الكويت - الطبعة الأولى- ١٤٠٨هـ .

٣٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي(ت ٨٨٥هـ) - دار الكتاب الإسلامي- القاهرة .

٣٣-النكت والعيون - أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب بالماوردي(ت ٤٥٠هـ) - ت السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم - دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان

Abstract

The benefits extracted from Surah of Prophet Mohammed (peace upon him and on his family) from the beginning of Surah until the end of Ayah 15/ the 1st part

The current study is concerned over the benefits from our Prophet ' Surah , these benefits are seven which are : the first : (The losing , disappointment , weakness in the affairs of those disbelievers ,the second : showing the affairs of the believers in respect to integrity , forgiveness and rest, the third : Indicating the big difference between the believers and disbelievers , each team has his own characteristics that being distinguished from the other, I have explained the benefit that the disbelievers are in a difficult situation. The fourth : guiding the believers to morals during the wars , the fifth : I have explained the martyrs of the believers , who will be awarded high ranks and precious presents and paradises unbelievable, the sixth : Enlightening the believers the path of life and guiding them to the correct and righteous pat to the divine and hereafter by their religion , their patience to struggle their enemies, the seventh : The believers are promised with paradises where rivers are here and the disbelievers are in a hell where hot water torn them into pieces

Number 61

7 Shaaban 1441 A.H

31th March 2020 M